المنهج الاجتماعي

د. يخلف رفيقة(*)

الملخص

يعتبر المنهج الاجتماعي إحدى طرق وأساليب التفكير المتبعة في دراسة الظواهر الاجتماعية وتفسيرها وتحليلها مع المتغيرات التي تتداخل في إحداثها، فكان البحث مكون من جزئين، أولا ماهية المنهج الاجتماعي، وثانيا المنهج الاجتماعي عند ابن خلدون، حيث كان ابن خلدون أول من نادى بضرورة قيام علم لدراسة المجتمع وسمي بعلم العمران البشري حيث وضع أسس ومنهج وقوانين المنظمة للحياة الاجتماعية وفي دراسة المجتمع، وبالتالي وضع نظرية اجتماعية تجمع كل الحقائق والمفاهيم المتعلقة بطبيعة المجتمع العربي وتطوراته، وبالتالي سيكون موضوع دراستنا هو «**المنهج الاجتماعي**».

تمهيد

إن أهمية المنهج الاجتماعي تظهر أهميتها من التفسيرات العلمية التي تركز عليها انطلاقا من النظريات العلمية وبين التقنيات المستخدمة في التفسير والتحليل متضمنة أسلوب في التفكير والطرق العلمية، والمنهجية المتبعة، وبالتالي ستكون دراستنا متضمنة ماهية المنهج الاجتماعي ثم التطرق إلى المنهج الاجتماعي عند ابن خلدون لنوضح القواعد والأسس العلمية التي ركز عليها ابن خلدون في تحليله للظاهرة الاجتماعية، وقد **تضمنت الدراسة العناصر التالية:**

- مفاهيم الدراسة.

(*) أستاذة محاضرة بقسم علم الاجتماع، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - الجزائر.
monar44@ hotmail.fr..

- ماهية المنهج الاجتماعي.
- المنهج اجتماعي عند ابن خلدون.
- انتقادات الموجهة.

أهداف البحث

- معرفة المنهج الاجتماعي عند ابن خلدون.
- معرفة طبيعة التحليلية في تفسير وضبط قوانين الظواهر الاجتماعية.

مفاهيم البحث

- **المنهج الاجتماعي:** هو عبارة عن طريقة أو أسلوب في التفكير لعلمي وفق القواعد العلمية المتبعة في البحث والتي تهتم في اتباع الطرق علمية في دراسة الظواهر الاجتماعية.
- **ابن خلدون:** هو شخصية عربية من رواد الأوائل في تأسيس علم الاجتماع.

ماهية المنهج الاجتماعي

يعرف النقاد المنهج الاجتماعي بأنه المنهج الذي يستهدف النص ذاته باعتباره المكان الذي يتدخل فيه ويظهره بطابع اجتماعي ما، فأولى علامات هذا النقد أن يبين الصلة بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه.

وقد ولد المنهج الاجتماعي في أحضان المنهج التاريخي، عند أولئك الذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات، ولذلك قال بعضهم إن هذا المنهج جزء من المنهج التاريخ.[1]

المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد تولد هذا

(١) المنهج الاجتماعي: الموقع الالكتروني: http: //elearning.univ - guelma.dz/moodle/course/info.php?id=316تصفح يوم٢٠١٧/١٢/٢٩

المنهج من المنهج التاريخي، بمعنى أن المنطلق التاريخي كان هو التأسيس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي عبر محوري الزمان والمكان، وهو منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة، فيكون الأدب ممثلاً للحياة على المستوى الجماعي لا الفردي؛ باعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية، فالقارئ حاضر في ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد، ويتفق معظم الباحثين على أن الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده بدأت منهجياً منذ أن أصدرت «**مدام دي ستايل**» عام ١٨٠٠م كتابها «**الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية**»، فقد تبنت مبدأ أن الأدب تعبير عن المجتمع، ويمكن عد التحليلات التي حواها كتاب الناقد «**هيبوليت تين**» في كتابه «**تاريخ الأدب وتحليله**» عام ١٨٦٣م، أحد أبرز التطبيقات الممثلة للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب وتحليله.[١]

أ- أسس المنهج الاجتماعي:

- ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان المجتمع، فالأب صورة العصر والمجتمع والأعمال الأدبية وثائق تاريخية واجتماعية.
- الأديب يؤثر في مجتمعه ويتأثر به ورؤيته تتبلور بتأثير المجتمع والمحيط والتربية.
- الأدب جزء من النظام الاجتماعي وهو كسائر الفنون ظاهرة اجتماعية ووظيفة اجتماعية.[٢]

ب- بعض رواد المنهج الاجتماعي:

المنهج الاجتماعي هو المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية في البيئة التي ينتمي إليها الأديب وطبيعته الاجتماعية وما عاش فيه من أوضاع اجتماعية وظروف سياسية واقتصادية وفكرية، وعند الحديث عن نشأة المنهج الاجتماعي لابد من الإشارة إلى جهود أعلام المنهج التاريخي أمثال سانت بيف وتين وبرونتير الذين ربطو الأديب بالجماعة التي ينتمي إليها والأدب بالمجتمع الذي أنتجه بعرى وثيقة، ثم الإشارة إلى أسماء بعض النقاد والفلاسفة الذين

---

(١) المنهج الاجتماعي، ملف، الموقع الالكتروني: faculty.ksu.edu.sa/aalshibin/Documents/المنهج٪٢٠الاجتماعي.doc

(٢) المنهج الاجتماعي: الموقع الالكتروني: http: //elearning.univ - guelma.dz/moodle/course/info.php?id=316 تصفح يوم٢٠١٧/١٢/٢٩.

مهدو لنشأة المنهج الاجتماعي أمثال مدام دوستال التي ترى أن الفلاسفة بين الأدب والمجتمع تمر بثلاث مراحل هي:

- القراءة التعاقبية.
- القراءة المكانية.
- التضاد بين الأدب الضروري وأدب الأمر الواقع.[١]

كذلك أسهب المؤرخون للمنهج الاجتماعي في الحديث عن أراء كارل ماركس واثر فلسفته في ربط تفسير الأدب بالعلاقات الاجتماعية وصراع الطبقات ودعوته إلى إعادة قراءة التراث الأدبي على ضوء الفكر الماركسي، وتوسعو في ذكر أراء جورج لوكاتش النقدية المبثوثة في كتابة نظرية الرواية التي تتصل عن بالحديث عن العلاقة بين الأجناس الأدبية والمجتمع.

وكذلك إسهامات لوسيان جولدمان في إنضاج هذا المنهج الذي يرى أن الأدب والفلسفة تعبيرات متفاوتة عن رؤية العالم، وأن رؤى العالم ليست وقائع فردية ولكنها وقائع اجتماعية والرؤية عند جولدمان لا تعني وجهة نظر الفرد المتغير دائما أديبا كان أو فيلسوفا بل تعني وجهة نظر النسق الفكري لمجموعة من البشر يعيشون الظروف الاقتصادية والاجتماعية ذاتها، ويبقى الإبداع الفردي عنده جزءا من إبداع الجماعة، وينبغي على الناقد وفق المنهج الاجتماعي أن يتناول النص الأدبي وفق العناصر التالية:

- إن القراءة الاجتماعية تهتم بالدرجة الأولى بالأجناس الأدبية التي تنافس التاريخ.
- الحياة تعد حقيقة اجتماعية وعلى الناقد أن يتسم بالصراحة في قراءة النص.
- ملاحظة العلاقة التبادلية بين الأديب والمجتمع.
- أن يأخذ الناقد في حسبانه ارتباط نشأة الأدب وتطوره بقوانين اجتماعية معينة.[٢]
- **كارل ماركس:** استطاع ماركس دعم أساسات النظرية الاجتماعية بتصور نظري مثين عندما اعترف دون مواربة أن الأدب يرتبط ارتباطا وثيقا بالواقع المجتمعي

---

(١) المنهج الاجتماعي، الموقع الالكتروني:
Site.iugaza.edu.ps/nafi/files/2010/02/e - 4pdf التصفح يوم: ٢٠١٧/١٢/٣٠

(٢) نفس المرجع.

المحيـط بالمبدع.ولتأكيد هذه الفكرة عمل على قلـب الدياليكتيك الهيجيلي، فجعله يمشي على رجليه بعدما كان يمشي على رأسه.ومعنى هذا القول أن ماركس اختار لنفسه مسارا يختلف عن ذلك الذي ارتضاه الطرح المثالي والمتعالي لكانط وهيجل، وفيه أقر أن هناك علاقة انعـكاس آلي تربط البنيـة التحتية(الطبقات)بالبنية الفوقية(الإبداع على اختلاف صوره: فن، فلسـفة، أدب...)، لهـذا راح يبحث عن المجتمع في الأدب. وقـد انتُـقِـد ماركس لهذا الموقف، ورُدَّ عليه بأن هناك آثـارا وروائع مازالت مؤثرة إلى حـد الآن في التاريـخ البشري رغم انـصرام الزمن الذي أنتجها.هـذا الانتقاد أقر به ماركس، مما جعله يبحث عن تفسـير للأمر، وقـد وجد ضالته في نظرية«العصور الطويلـة» وهي نظرية لا تلغي مبدأ تأثير المجتمع في الأدب غير أنها تجعله ممتدا على زمن بعيد وليس آنيا.[1].

- **لوكاتـش:** من الروافد الأخرى للمنهج الاجتماعي يمكن أن نسـتحضر الناقد **جورج لـوكاش**، الـذي عمل انطلاقـا من اتجاهه الماركـسي - على ربط أشـكال الوعي كافة بالبنيـة الاقتصادية المحددة لها في كتاباته عن بلزاك وأميل زولا كشـف عن العلاقة الجدلية بين دلالات الأعمال الإبداعية الكبرى ودلالات البنيات الاجتماعي، فنظر إلى الأعمال الأدبية بوصفها انعكاسـات لمنظومة ظاهرة، والانعكاس عنده يعني تكوين بنية ذهنية يتم التعبير عنها بالكلمات(ولا ينفي هذا القول اسـتمرار النزعة المثالية في تصورات لوكاتش، خصوصا ما ورثه عه أسـتاذه هيجـل على نحو ما يظهر في انتقاده للنين وتأييده لستالين في دعوة الأخير إلى ثورة ديمقراطية).

إن هذا التحول سواء لدى ماركس أو لوكاتش يعد قفزة نوعية كبرى.فبعد أن كانت المقولات عند« كانط» أشكالا سابقة للذهن، مستقلة عن كل بعد تاريخي، أصبحت تاريخية عند «هيغل»، ولكنها ترتبط بتطور الذهن الموضوعي، لتصير البنيات الذهنية مع الناقدين الألماني ماركس والمجري لوكاتش حقائق تجريبية ينتجها التطور التاريخي لمجموعة اجتماعية وطبقات اجتماعية على الخصوص..

وكان المنهج الاجتماعي قد أولى اهتماما كبيرا بالمضامين - ما دام المجتمع يشهد صراعاً

(١) د.جواد ختام، **المنهج الاجتماعي: بداياته وتطوره وامتداداته.**، الموقع الالكتروني: التصفح يوم ٢٩/١٢/٢٠١٧ https: //www.marocagreg.com/forum/sujet - - 12069.html

طبقياً، وعلى المبدع أن يحدد موقفه منه ـ فإن ذلك كان سببا في إغفال الجانب الجمالي وعلاقته بالدلالة الاجتماعية والأيديولوجية، واكتفى بالمقارنة بين ما موجود في الرواية من أماكن وشخصيات وبين ما يقابلها في الواقع الخارجي، ومن ثم لم يناقش النقد الاجتماعي علاقة الأدب بالمجتمع بعيدا عن مفهوم الانعكاس، كما أنه لم يميز بين الأدب باعتباره إبداعا وبين الأيديولوجيا باعتبارها مقولة فكرية وسياسية واقتصادية تؤثر فيه بطريقة غير مباشرة.مما جعل بعض النقاد مثل جولدمان ولينهارت ولوتمان يعقدون العزم على تجاوز عثرات المحاولات النقدية السابقة.[١].

ج- منهج الاجتماعي عند ابن خلدون:

نشأة ابن خلدون:

ولد ولي الدين أبوزيد عبد الرحمان بن محمد الملقب بابن خلدون في تونس في ٢٧ ماي ١٣٣٢، وترجع أصول أسرته إلى حضرموت، حيث دخل أحد أجداده واسمه خلدون بن عثمان إلى الأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري، وكانت بداية تلقيه العلم بجامع الزيتونة بتونس في مختلف مجالات العلم: في الفقه والتفسير والحديث والفلسفة وعلوم طبيعة وغيرها، وما لبث أن انتقل إلى مدينة فاس بالمغرب لتلقي العلم على يد علمائها وقد عمل هناك في ديوان الأمير الحاكم، ثم انتقل إلى مدينة غرناطة في ديسمبر١٣٦٢، ولقي خطوة من ملكها بأن عينه سفيرا له لدى ملك اشبيليه، ثم انتقل إلى منطقة شمال افريقيا وأقام في مدينة بجاية بالجزائر في عام ١٣٦٤ التي كان قد استولى عليها احد أصدقائه في وقت سابق وعمل لديه كرئيس لديوانه، وفي نفس الوقت عمل خطيبا بجامع القصبة ببجاية، ثم هاجر إلى مصر في عام ٧٨٤ ه واشتغل هناك في القاهرة في الفضاء وتدريس العلم.

توفي ابن خلدون يوم الأربعاء ١٨ مارس ١٤٠٦م الموافق لـ ٢٥ رمضان ٨٠٨ ه عن عمر يناهز ٧٤ سنة في القاهرة[٢].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) د. مصباح عامر، **علم الاجتماع الرواد والنظريات**، شركة دار الأمة، ط١، ٢٠٠٥، برج الكيفان، الجزائر، ص ٢٨.

د- ابن خلدون وعلم الاجتماع:

في الواقع أن كثيرا من العلماء اعترفوا بأصالة ابن خلدون وأسبقيته في إنشاء علم الاجتماع، فله فضل السبق بتأسيس علم الاجتماع من حيث الفترة الزمنية على أوجست كونت.[١]

فإن ابن خلدون يرى:

- أن الدراسة الاجتماعية العلمية يمكن أن تتخذ من المجتمع الكبير حقلا لها اعتمادا على الدراسة الميدانية وهو نفس الاهتمام لدى علماء الاجتماع المحدثين.
- ففهمه الواضح لوظيفة التي تتميز بالوصف، التفسير، التنبؤ.
- كان يؤمن بجبرية الظواهر الاجتماعية، لأنها تخضع لقوانين وأسس يمكن الكشف عنها عن طريق البحث والدراسة.

وبذلك كان مدركا بأنه مؤسس لعلم جديد قال عنه:

«وكان هذا العلم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري».[٢]

ويرى ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني أمر طبيعي وضروري بالإنسان مدني بالطبع، إذ لا يستطيع العيش إلا في مجتمع ولا يبلغ كما له في الجماعة، والمجتمع ظاهرة طبيعية تحكمها قوانين عامة وله وظائفه التي تحركها إرادة الإنسان في إشباع حاجاته واستمرار حياته[٣].

ولقد صنف ابن خلدون علم الاجتماع إلى ستة أبواب:

- العمران البشري بصفة عامة والعوامل التي أدت إلى نشته ونوع التجمعات ودراسة البيئة الطبيعية.
- المجتمعات البدوية أو المتخلفة.
- العمران الحضري أو المجتمعات المتقدمة.

---

(١) د. خالد حامد، **مدخل إلى علم الاجتماع**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠١٢، المحمدية، ص٦٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٤

(٣) نفس المرجع، ص ٦٤

- السياسة.
- الاقتصاد أو ما يسمى بالمال أو المعاش.
- العلوم ويقسم ابن خلدون **العقل إلى قسمين:**
  - العقل التجريبي.
  - العقل النظري[1].

هذه العلوم وزعها ابن خلدون على ٠٦ فصول محكمة التنسيق:

ف١: في العمران البشري على الجملة: أي البيئة وتأثيرها في الكائنات البشرية، أنثولوجية وأنطروبولوجية.

ف٢: في العمران البدوي: أي في الحضارات الريفية المقامة غالبا وعادة على الزراعة والتي كثيرا ما تكون بدايته فهي ترتكز على ما نسميه اليوم بالقطاع الأول.

ف٣: في الدول والخلافة والملك: أي في المؤسسات السياسية والإدارية التي تنشئ مع كل حضارة مهما كانت بسيطة وتنظم الحياة الاجتماعية.

ف٤: في العمران الحضري والبلدان والأمصار: أي في الحضارات التي عندما تبلغ النضج تزدهر خاصة في المدن وترتكز على ما نسميه اليوم القطاع الثاني وتبلغ هكذا اسمى المراحل رقيا وتطورا.

ف٥: في الصنائع والمعاش والكسب: أي في العلوم الاقتصادية التي لابد من تحليلها لفهم العمران الحضري وهذه العلوم تهم كامل القطاعين الثاني والثالث وتزداد تعقدا بازدهار العمران.

ف٦: في العلوم واكتسابها وتعلمها: أي فيما تفرزه الحضارات بقدر ما تبلغ من الاكتمال من أنواع الثقافة التي تكتسب بالبحث وتورث وتكتنز بالتعلم فتنمو هكذا نموا متواصلا.[2]

---

(١) إدريس خضير، **التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ص ١٣٤ - ١٣٧.

(٢) ا.د.محمد الطالبي، **منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر**. المنظمة العربية للتربية=

ويرى ابن خلدون أن الأفراد حينما عجزوا حينما عجزوا عن تحقيق أغراضهم فرادى وراو وذلك أمرا مستحيلا لجأوا إلى التعاون الذي لا يتم إلا ضمن الحياة الاجتماعية التي تتطلب منهم التفكير ليجاد الحلول للمشاكل التي تعترضهم في حياتهم الاجتماعية، غير أن هذه القواعد من صيغ الأفراد الذين يكونون المجتمع ثم بعد ذلك أصبحت العادات تلعب دورا هاما في حياتهم ولكنها ليست ثابتة، وإنما هي قابلة للتعديل والتغيير تبعا لوعي الأفراد وتعيين ظروفهم.[١]

ويقول ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني ضروري أي لابد له من الاجتماع الذي هو العمران وبيانه أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا تصح حياته وبقائه إلا بالغداء وهداه إلى التماسك بفطرته.[٢]

ويرجع ابن خلدون التجمع البشري إلى ثلاثة عوامل أساسية:

- ضرورة اقتصادية.
- الدفاع.
- الميل الفطري.[٣]

ويقسم ابن خلدون التجمعات إلى نوعين:

- التجمعات الحيوانية،: خاضعة للفطرة والغريزة.
- التجمعات الإنسانية: فهي وليدة التفكير والإرادة[٤].

ومن هنا يعطينا ابن خلدون فكرة واضحة عن نشوء علم الاجتماع وطبيعة المجتمع، وأن الحياة الاجتماعية عنده تمنحنا مادة لعلم الموضوعي، ولا يوجد هناك شيء اسمه مصادقة في الأعمال وأحوال الظواهر الاجتماعية، وكل ما يسمى مصادقة فهو عبارة عن أسباب

= والثقافة والعلوم، ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، دار العربية للكتاب، ١٤ - ١٨ افريل ١٩٨٢، جامعة الدول العربية، ،، ص٤١.

(١) إدريس خضير، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٨.

(٢) نفس المرجع، ص ١٤١

(٣) نفس المرجع، ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٤) نفس المرجع، ص ١٥٣

خفية يتعين على عالم الاجتماع كشفها وتحليلها ومما يدل على وضوح فكرة المجتمع في ذهنه[١].

ومن أراء ابن خلدون في علم العمران: **«الإنسان اجتماعي بطبعه»:**

تعني هذه الحكمة أن الفرد مرآة تعكس المجتمع فنشير إلى التأثير الاجتماعي على الأفراد من خلال علاقة الفرد بالآخرين داخل الأطر الاجتماعية، ويعتبر ما يكون للفرد قابلية للاجتماع والتأثير بغيره، فالمجتمع تأثير كبير على الأفراد واعتمد ابن خلدون في إثبات أطروحته وتوضيحها على مجموعة من الأساليب الحجاجية ويتجلى في استشهاده بالحكماء، الفلاسفة (أفلاطون وأرسطو خصوصا) في قولهم بان الإنسان مدني بطبعه وذلك لتأكيد أطروحته القائلة بان الاجتماع البشري ضروري[٢].

ومن أرائه أيضا «التطور في المجتمع حيث يرى انم بدا التطور ليس وفقا على عالم الطبيعة فحسيب، بل انه قائم على الصعيد الاجتماعي، إذ أن الأمم تتطور كذلك: إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، لكن هذا التطور لا يكون عادة سريعا ملحوظ بل بطيئا لا يكاد يقطن له إلا الأقلون من الناس، إلا انه قد يحدث ما يبدل أحوال الأمة بالجملة في عصر من العصور.

ويلاحظ ابن خلدون ما يسمى بالمتخلفات وهي الآثار التي تبقى بعد وزوال العهد الذي نشأت فيه، فتكون رواسب لأحوال قديمة، تكثر الآثار الضخمة في الأمم العريقة في حصا يعزو ابن خلدون الفروق بين الامم إلى ثلاثة علل أساسية وهي: الطبيعة، العرق، العوامل الاجتماعية.[٣]

هـ- منهج الاجتماعي عند ابن خلدون:

لقد بحث ابن خلدون في الظاهرة الاجتماعية واعتمد على الملاحظة الحسية والتاريخية

(١) نفس المرجع، ص ١٧٧.

(٢) د.عبد القادر تومي، من حكم الفلاسفة، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص١١

(٣) الاستاذ خليل شرف الدين، في سبيل موسوعة الفلسفية، **ابن خلدون**، دار ومكتبة الهلال، طبعة جديدة، ٢٠٠٧، بيروت، ص٥٢ - ٥٣.

لتقييمها وتفسيرها وبتعبير أصح جمع المواد الأولية لموضوع بحثه من المشاهدات وبطون التاريخ، ثم أجرى عليها عملية عقلية ليصل إلى الغرض الذي قصد إليه من هذا العلم، وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين، مثل هذا النهج لم يكن عابرا في ذهن ابن خلدون بل كان في صميم تفكيره واتجاهه العقلي العام، وهو نهج لا يزال إلى يومنا هذا معتمد الباحثين في علم الاجتماع ومنطلقهم الصحيح في التفتيش عن العلل والأسباب الخفية التي تكون مجتمعا وما تعطيه طابعا خاصا.(١)

وحتى طريقة كان فيها من الأصالة والتركيز العلمي ما يقر بها كثيرا من تصاميم أساتذة الهندسة المعاصرين التي يضعون نص النظرية عنوانا للدرس قبل مباشرة حل المسائل المتعلقة بتلك النظرية، وهكذا فعل ابن خلدون حين عنون كل فقرة من بحثه بقانون أو فكرة من القوانين التي انتهى إليها، ثم يبدأ ببيان الحقائق التي استخلص منها هذا القانون أو هذه الفكرة، وهذه هي طريقة الاستدلال في علم الهندسة اليوم، وكذلك يعمد إلى استدلال المنطقي الخالص بعد الاستدلال العملي التجريبي، إذا وجد في موضوع بحثه عناصر مشجعة على الاقتناع بالدليل العقلي.(٢)

ولقد ابتكر ابن خلدون منهجاً جديداً يقوم على استقراء واقع عصره، ومجتمعه، معتمدا في ذلك على ملاحظاته، ومشاهداته وخبراته. لقد اتاحا منحى تجريبيا، لذا لاحظ حياة وسلوك الجماعات التي عاش بين ظهرانيها، واستقرأ القوانين التي تحكمها من خلال مقارنته للظواهر الاجتماعية التي لاحظها داخل المجتمع، وفي المجتمعات الأخرى. وحول هذا المنهج كتب **علي عبد الواحد وافي فيقول:** «فهو في بحثه للظواهر الاجتماعية يجتاز مرحلتين، تتمثل أولاهما في ملاحظات حسية وتاريخية لظواهر الاجتماع، أو بعبارة أخرى تتمثل في جمع المواد الأولية لموضوع بحثه من المشاهدات، ومن بطون التاريخ، وتتمثل الأخرى في عمليات عقلية منطقية يجريها على هذه المواد الأولية لموضوع بحثه من المشاهدات. ومن بطون التاريخ، وتتمثل الأخرى في عمليات عقلية منطقية يجريها على هذه المواد الأولية ويصل بفضلها إلى الغرض الذي قصد إليه هذا العلم، وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين».

إن منهجه الذي طبقه في المقدمة، والقائم على الملاحظة واستقراء الحوادث، لا يستهدف

(١) نفس المرجع، ص١١٥.
(٢) نفس المرجع.

إلا الأغراض العلمية الخالصة». وما لا شك فيه، أن هذا المنهج يشكل منعطفاً جديداً في فلسفة المعرفة ونظرياتها، لا لأن ابن خلدون أول من استخدم هذا المنهج في دراسة العمران البشري، وإنما لأن المقدمة تعد دراسة الميدانية وتجريبية. ولا غلو في قولنا إنها مدرسة رشدية في علم الاجتماع، فيها أخذ المنهج الرشدي سبيله إلى التطبيق.

وقبل بيان معالم المنهج الخلدوني يتعين علينا أن نتعرض بإيجاز **لأهم قواعد المنهج التاريخي الخلدوني.**[1]

قواعد المنهج العلمي

إن قواعد المنهج العلمي الخلدوني تختزل كثيرا من المناهج اللاحقة، وعلى الأخص مبادئ المنهجين الاستقرائي التجريبي والوضعي، لكمن ما ينفرد به المنهج الخلدوني هو انه ليس تجزيئيا وإنما تكاملي، أن البيئة الإسلامية المعرفية تقوم على وحدة المنهج تعرف التفريق بين المنهجين الطبيعي والاجتماعي، وهذا ما حيّر كثيراً من المهتمين بالمنهج الخلدوني. فهم ما زالوا محتارين حول منهج المقدمة وموضوعها. ولعل السبب في ذلك إنما يرجع إلى الجهل بخصائص البيئة المعرفية الإسلامية، وإلى تطبيق التصنيفات الأوروبية العلمية على مقدمة ابن خلدون. وهنا نقع في المحظور، فالخلفية المعرفية فلدونية إنما هى الحضارة الإسلامية، وزمانها، ولا يجوز إغفال ذلك أبداً.[2]

أما أهم قواعد المنهج العلمي الخلدوني فهي:

القاعدة الأولى:

وهي قاعدة النقل الباطني السلبي، وتقوم على التحري عن مصدر الأخبار، وطرق التثبت من صدق المؤلف، ومن عدم انخداعه ووقوعه في الخطأ والأغلاط، فعوامل الانخداع والوقوع في الأغلاط متعددة، قد يكذب المؤرخ طمعاً في مكسب ذاتي، أو قد يميل إلى فئة أو طبقة فيناصرها، أو قد يداري الحكام، ويرضي نزواتهم، فيبتعد عن الموضوعية، ويتخذ من التاريخ

(١) ازاد أحمد علي، بنسالم حميش واخرون، **الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ط٢، ٢٠٠٨، ص٤٧ - ٤٨.

(٢) نفس المرجع، ص٤٨ - ٤٩.

ذريعة لتبرير مواقعهم. وقد يعتمد المؤرخ على المصادر الثانوية فتأتي معلوماته مشوهة، والصحيح هو أن يستقي المعلومات من مصادرها الأصلية.

القاعدة الثانية:

وتتمثل في الابتعاد عن التشيع والتعصب للآراء والأحكام المرتجلة والقبلية، والتزام جانب الموضوعية في عرض وقائع العمران. وقد عبر عن (ذلك دوركهايمفيكتابه قواعد النهج في علم الاجتماع حينما قال، إنه يتعين على عالم الاجتماع أن يبتعد عن كل رأي مسبق حول الظاهرة. وإذا لم يلتزم المؤرخ بالموضوعية، فإن الأهواء والنزعات الذاتية قد تستبد به.[١]

القاعدة الثالثة:

هي موسوعة المعرفة عند المؤرخ، إذ يتعين عليه الإلمام بقواعد السياسة وطبائع العمران، والملك وتاريخ الأمم، والاقتصاد والسياسة في الاعصار المختلفة، ولما كان العمران البشري يؤثر في الوقائع التاريخية والاجتماعية فلا بد للباحث من الإحاطة بطبائعه، كي يدرك أثره في النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.[٢]

القاعدة الرابعة:

هذه القاعدة هي قاعدة التشكك في الأخبار التي ترد إلى أسماع المؤرخ، وقد نهج ابن خلدون منهجا من الشك جاء الشك الديكارتي فيما بعد أشبه ما يكون به. فلكي يبني المؤرخ منهجه المعرفي على أساس متين يتعين عليه أن يشك في صدق المعلومات التي كان قد حصلها ما دام الشك فيها له ما يبرره.[٣]

القاعدة الخامسة:

ولكي نقطع الشك باليقين، وننتقل من دائرة الاحتمال إلى دائرة اليقين، ونسير خطوة خطوة

(١) نفس المرجع، ص٤٩.
(٢) نفس المرجع، ص٥٠.
(٣) نفس المرجع، ص٥١.

على طريق المعرفة العلمية، علينا أن نعتمد على المعرفة \ العقلية باعتبارها أحد المصادر الأساسية للمعرفة، فتنظر في الأخبار، ولا نأخذ إلا بما يقبله العقل ونرفض ما دونه.[١]

القاعدة السادسة:

هي القاعدة العلية، ويرى ابن خلدون أنه لا بد للمؤرخ من معرفة طبائع العمران، فلكل حادث من الحوادث طبيعة تخصه في ذاته، وفيما يعرض له من أحواله. لا بد لكل حادث من محدث. وبهذا لم يعد التاريخ وصفا للوقائع، وإنما هو «في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات، ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقة»، يقوم المنهج الخلدوني على تحليل الحوادث التاريخية ومعرفة عللها. ولما كان لكل حادث محدث، فلا بد إذا وقع الحادث أن تعقبه النتيجة. فثمة علاقة تلازم في الحدوث.[٢]

ولقد انتهج الواقعية في دراسة الظواهر الاجتماعية ولم يرق له ما كان يتبعه الفلاسفة والمؤرخين من مناهج نظرية تأملية، لا تستند على انتهاج الاستقراءات الواقعية والأساليب النقدية، لذلك دعا إلى تمحيص الروايات والشك في الأخبار والاعتماد على العقل، إذ يقول: «**في ظاهرة لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون وفي باطنة نظر وتحقيق وتحليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقة.**[٣]

لذلك وضع الأسس المنهجية للدراسات الاجتماعية ودعا إلى الموضوعية العلمية وعدم الوقوع في الأوهام التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة وفي مقدمتها التشيع للآراء والمذاهب، والنقل دون تمحيص وضرورة للإلمام بطباع وأحوال العمران إذ يقول: «**إن صاحب هذا الفن يحتاج إلى علم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف البقع**»[٤]

و إن ابن خلدون اعتمد على التراث المعرفي الذي بداه الإسلام، وتشكل تطوره فيما بعد عملية تاريخية طويلة، عمقها الواقع الاجتماعي، وتقدم المعرفة العقلية، وترد أصول هذا المنهج إلى القرن الكريم الذي يخاطب عقول البشر وحواسهم وحدسهم[٥].

---

(١) نفس المرجع، ص٥٢.

(٢) نفس المرجع، ص٥٢.

(٣) خالد حامد. مرجع سبق ذكره، ص ٦٥.

(٤) نفس المرجع، ص ٦٥.

(٥) ازاد أحمد علي، بن سالم حميش وآخرون، **الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ٢٠٠٨، ص٥٣.

ويقول د.على عبد الواحد وافي أنه إذا كان ابن خلدون لم يفرد في مقدمته فصلا عن الحديث عن منهجه في الدراسة الاجتماعية، فإن الباحث يمكن أن يستخلص ذلك من أقواله وطريقة عرضه للمسائل، فقد كانت الفائدة الأساسية في كتاباته هي:

- الاستزادة من العلم، فالباحث كما يرى ابن خلدون يحتاج إلى قدر متنوع من المعارف العلمية التي ييسر له طريق الفهم والتحليل.
- لم تكن كتابات ابن خلدون صادرة من وحي الخيال، وإنما جمعت من التجربة الحياتية وكانت نتيجة لمشاهداته وتجاربه الخاصة، وبين التأمل والنظر[1].

وكان قوام المنهج العلمي عند ابن خلدون قائما على الوصف والتنبؤ والتفسير.

- اعتقد ابن خلدون في جبرية الظواهر الاجتماعية، فالظواهر الاجتماعية ليست في نظره نتيجة الصدفة البحتة ولكنها نتيجة قواعد وقوانين ثابتة.
- كان منهج ابن خلدون تاريخي ولكنه يستند إلى أسس واقعية، ويحتكم إلى معايير محددة لاستقصاء الواقع والتحقيق من صحة المعلومات.[2]

ويرى ابن خلدون ينبغي أن يكون الباحث في هذا العلم على العمران، الاجتماع، أن يكون ملما بقواعد السياسة وطبائع الموجودات.

ومن أهم ملامح المنهج عند ابن خلدون:

١. الإلمام بمختلف جوانب المعرفة.

٢. معرفة طبائع العمران.

٣. الموضوعية.

٤. الملاحظة.

٥. استخدام منهج المقارنة.

---

(١) د.حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجيست كونت**، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨، مصر، ص٤٣

(٢) نفس المرجع، ص ٤٥

٦. استخدام المنهج العضوي.

٧. الاهتمام بالمنهج التاريخي.

٨. التحليل العقلي[١].

أما منهج ابن خلدون في دراسة هذه الظواهر فهو المنهج العلمي فهو عند دراسته لأية ظاهرة من الظواهر يتساءل: **لماذا؟** ويجيب عن هذه الأسئلة بعبارات تبدأ بـ «والسبب في ذلك» أو «وذلك لأن ومثل هذا التساؤل ومثل هذه الإجابات هي التي تكون علم الاجتماع ومنهجه التجريبي بمعنى أن التجربة عنده تعني الخبرة والممارسة».[٢]

لقد درس ابن خلدون في المقدمة الطبقات الاجتماعية المختلفة، والمجتمع البدوي والمجتمع الحضري وقارن بينهما، ودرس الإخلاف وما يمكن أن يصيبها من تغير والعوامل الاقتصادية وتأثيرها في المجتمع، وتأثير الدين على قيام الدولة كما درس ظاهرة السكان، واعتقد أن ابن خلدون بعد أن درس كل هذه الظواهر الاجتماعية كان يستطيع أن يدرس الدولة باعتبارها الإطار الذي يحوي هذه الظواهر[٣].

نعتقد أن د.عبد العزيز عزت في كتابه بالفرنسية «ابن خلدون وعلمه الاجتماعي» كان أفضل من نظر لابن خلدون نظرة موضوعية تماما فلم يقول أنه أحد المبشرين بعلم الاجتماع، وواحد من أوائل أصحاب النظريات في علم الاجتماع، ورغم تطلعاته العلمية فإنه ربما قد يعني في مرحلة فلسفة التاريخ، إلا انه حاول وضع علم جديد مستقبل يدرس المجتمع ذاته، وأن علم الاجتماع لدى ابن خلدون لا يتطلع إلى التطبيق بل إلى المعرفة أي أن ابن خلدون لم يضع هذا العلم ليعطي المجتمع اتجاها جديدا بل وضعه ليدرس كيف يتطور المجتمع تلقائيا دون أن يحاول من جانبه تغيير اتجاه هذا التطور و إن علمه يبحث عن الواقع وليس فنا يتطلع إلى مثل أعلى.

قال شميدت الأمريكي: عن ابن خلدون أنه مفكر مثل كونت وتوماس مين وسبنسر، وقد

---

(١) نفس المرجع، ص ص٥٣ - ٥٦

(٢) د.زينب محمود الخضيري، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨، ص، ص٨٠.

(٣) نفس المرجع، ص٨١ - ٨٢.

تقدم في علم الاجتماع إلى حدود لم يصل إليها كونت نفسه في النصف الأول من القرن ١٩، أن المفكرين الذين وصفوا أسس علم الاجتماع من جديد لو كانوا قد أطلعوا على مقدمة ابن خلدون في حينها، فاستعانوا بالحقائق التي كان قد اكتشفها والطريق الذي كان قد أوجده ذلك العبقري العربي قبلهم بمدة طويلة لاستطاعوا أن يتقدموا بهذا العلم الجديد بسرعة أعظم مما تقدموا به فعلا[١].

أما أسلوب ابن خلدون في كتابة التاريخ وعلى الأخص تاريخ بلدان المغرب فهو جديد وقد حلله في المقدمة:

«إن فن التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وتؤدي إلينا شان الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق.[٢]»

ولما طالعت كتب القوم انشات في التاريخ كتابا أبديت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسباب وبنيته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار وهم العرب والبربر.

وأن ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي أما صريحا آو مندرجا في إخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه، وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار[٣].

إن ابن خلدون يهدف إلى الكشف عن القوانين التي يمكن استخدامها في تفسير الماضي والتنبؤ بالمستقبل، وهذه الطريقة المقارنة بين مختلف الظواهر الاجتماعية وهي الطريقة المثلى التي يعترف بها علماء الاجتماع في الوقت الحاضر، في ميدان البحث الاجتماعي ونجد ابن خلدون يثور ويستنكر.[٤]

---

(١) نفس المرجع، ص٨٤.

(٢) د.سعيد دحماني، **تاريخ الجزائر في القرون الوسطى من كتاب «العبر» لعبد الرحمن ابن خلدون من ٣** أجزاء، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، ٢٠١١، ط١.ص٩

(٣) نفس المرجع، ص١٠

(٤) ابن عمار الصغير، **التفكير العلمي عند ابن خلدون**، وزارة الثقافة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٧، ص٧٢.

ما كان يذهب إليه المؤرخون قبله من سرد لعادات الناس وطبائعهم على أنها غرائب وطرائف، فأكد في الوقت نفسه رغبته في أن يفسر تلك الظواهر ويعللها بالرجوع إلى أسبابها الحقيقية الكامنة في ظروف البيئة التي تعيش فيها تلك الجماعة الإنسانية.[١]

وملكة عند ابن خلدون الحذف في العلم والتفنن فيه أو الاستعلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده.

وابن خلدون يقر بأن الملكة لا تحصل بمجرد الخطط وبفهم المواضيع العلمية ووعيها بل إنما تحصل بالمحاورة والمناظرة والمفاوضة في مواضيع العلم، بان المحاورة والمناظرة هي التي تولد ملكة التصرف وملكة أنماط الفروع من الأصول[٢].

ولم يقتصر ابن خلدون مثلا على تعداد مختلف الظواهر الاجتماعية بل نص على الطريقة المثلى التي يجب استخدامها في دراسة المجتمع وما يطرأ على نظمه وأحواله من تغيير وتطور، فلقد كان القدماء من المؤرخين يعتمدون على طريقة النقل ورواية أفكار العامة، وكانت ثقتهم بآراء السلف ورواياتهم أكثر من ثقتهم بعقولهم وبالحقائق اليومية التي تكشف لهم عنها الظواهر الاجتماعية في عصرهم، هؤلاء ينظر إليهم ابن خلدون على أنهم كثيرو الخطأ وضحية سوء الفهم، ولذلك أوصى بطريقة علمية تعتمد على دراسة القوانين التي يخضع لها المجتمع وعلى المقارنة بين أنواع المجتمعات ومختلف الشعوب حتى يمكن كشف القوانين التي يمكن استخدامها في تفسير الماضي وتنبؤ بالمستقبل، وفي هذا ربط ابن خلدون بين التاريخ وعلم الاجتماع[٣].

و«إن منهج ابن خلدون ينتج عن هذا الوضع الجديد لعلم التاريخ في الابستومولوجيا العربية، اليونانية، فإذا كان التاريخ علما فلسفيا، فان منهجه لن يكون إلا المنهج الفلسفي الغالب: انه المنهج الجدلي الاستقرائي والتحليلي وألاستنتاجي، ومعيار الصدق لا يمكن أن يكون إلا أرسطيا، أو مدرسيا آي معيار المطابقة الفكر للواقع، لذلك يرفض ابن خلدون منهج التجريح والتعديل الذي استعاره المؤرخون من الحديث والقضاء، وإنما كان التجريح

(١) نفس المرجع، ص٧٣.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢٠ - ١٢١

(٣) د.غريب محمد سيد أحمد، **تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص ٢٧.

والتعديل هو المعتبر في صحة الإخبار الشرعية، لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها.[١]

إن علم الاجتماع الذي أنشاه ليس دراسة وصفية استقاها من محيطه وتسرع في تعميمها، كما يدعي بعضهم، فكيف يمكن أن يكون علم الاجتماع مستقى من التجربة، وهو يهدف إلى استعماله نموذجا كنقد الإخبار التي هي المصدر الوحيد لمعرفة المجتمعات؟ وكيف يتهم ابن خلدون بالتعميم المتسرع وهو قد طرح هذه المسالة في المقدمة للتحذير من الاستقراء المتسرع والتمثيل السطحي.[٢]

ما منهج ابن خلدون إذن، إذا لم يكن استقرائيا؟ كيف بنى علم الاجتماع إذن؟ إن منهجيته يرتكز على تحليل مفهومات أربعة **وهذه المفهومات هي:**

- طبيعة الحياة الإنسانية.
- طبيعة المحيط الطبيعي.
- طبيعة المحيط الثقافي.
- طبيعة الاجتماع، وهو حاصل المفهومات الثلاثة السابقة ودورتها وليس مجموعها، وكل منها لا يقوم بدوره إلا من خلاله هو أن منهجية لا يمكن أن يكون استقرائيا، ما دام الشيء الذي سيستقريه هو ما عليه أن يبنيه بالنظرية والعقل ليجعل الاستقراء ممكنا نظرا لطبيعة الأحداث التاريخية، وليست الأسئلة التي يوردها في تحليلاته فقط، منطلقا لاستقراء تعميمي كما ظن بعضهم بل هي تمثيل لتوضيح المنهج المفهومي والنمطي.[٣]

وهكذا يكون ابن خلدون قد بنى للخروج من المأزق الابستمولوجي والمنهجي الذي ولجه موضوعا نموذجا يقيس عليه الأخبار العينية ومعه تكون المطابقة معيارا للصدق.

و إذا كان ذلك منهج ابن خلدون مطابقة الأخبار بل الاجتماع الإنساني كما تحدده المبادئ

---

(١) ابو يعوب المرزوقي، **الاجتماع النظري الخلدوني والتاريخ العربي المعاصر**، الدار المتوسطية للنشر، ط١، ٢٠٠٧، تونس، ص٣١.

(٢) نفس المرجع، ص٣٣.

(٣) نفس المرجع، ص٣٤.

والقوانين التي يستخرجها ابن خلدون عقليا.[١] فابن خلدون **يخضع كل خبر للأسئلة الأربعة التالية:**

- هل توافق الوقائع، على ما يوردها الخبر طبيعتها وحقيقتها في الوجود؟
- هل تخلص المؤرخ من الأسباب المنهجية التي تؤدي إلى الخطأ في التاريخ؟ أي هل وقع نقد الإخبار والوثائق ومقارنتها؟
- هل وقع امتحان موقف المؤرخ الواعي وغير الواعي من الخبر والحدث؟
- هل وقع تجاوز الأسباب الموضوعية المؤدية إلى الخطأ أي هل كشف عن تلبيس المقاصد وتعقيد الوقائع؟[٢]

فمنهج ابن خلدون هو إذن وضع خبر على محك القواعد والأصول التي تمدنا بها هذه العلوم للجواب عن الأسئلة الأربعة السابقة، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والوصول، فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا[٣].

مشكلة المعاصرة الفكر الخلدوني

تكاد تصبح الدراسات الخلدونية التي بدأت تظهر في السنوات الأخيرة كلها موجهة نحو إدماج التفكير الخلدوني في البيئة الفكرية المعاصرة مع نوع من عدم التحفظ في المقارنات ومع إلحاح شديد في إظهار جدية هذا التفكير و إبرازه في مظاهر الثقافة المنسجمة مع تفكيرنا في القرن ٢٠.

إن هذا التفكير لا يخلو من اتصالات قوية بعصرنا وبالقرن ١٩ على الخصوص، وذلك من وجوه عديدة منها إبرازه لعلم العمران علما مستقلا بذاته ومنها الموضوعية والواقعية التي تتحلى بها أبحاثه ومنها المادية الظاهرة التي نلمسها في مواضيع شتى من المقدمة.

ومن الحقائق المنهجية التي يجب التمسك بها لتفهم التفكير الخلدوني إدماجه في بيئته

(١) نفس المرجع، ص٣٥

(٢) نفس المرجع، ص - ٣٨, ٣٩

(٣) نفس المرجع، ص.٤٠

الثقافية الحقة، وهي البيئة الفكرية الإسلامية، وأن موقف الباحث في العصور الحديثة[١] موقف متأثر بتيارات فكرية وجملة هذه التيارات المؤثرة أذكر ذلك النوع من الموضوعية، وأنه لموقف يجعلنا نستخرج التفكير الخلدوني في أبرز المظاهر العلمية الوضعية ونضع بين قوسين المظاهر التي لا تنصهر مع المادية والواقعية مثلا.[٢]

فمناقشة ابن خلدون بالمفاهيم الهيجيلية مثلا وتحليل أفكاره بالأدوات الجدلية المعاصرة قد تجعلنا نتيه في التأويلات وننسى الغرض الأهم وهذا الغرض الأهم، وهذا الغرض هو إبراز المكانة الفكرية والمرحلة الثقافية التي يكونها هذا التفكير بالنسبة للتطور العلمي للبشرية ثم صلاحيته لفهم وضعيات اجتماعية معينة.

إن العملية المنهجية الأساسية هنا هي عملية حصر وتحديد للمناقشة عوض أن تكون عملية توسيع، ولكنه حصر من نوع خاص، إذ يهدف إلى تحقيق الواقع وتدقيقه حتى نستطيع فهم الوضعيات الاجتماعية التي يدرسها ابن خلدون في أطرها الزماني والمكاني[٣].

فيبدو لبعض الباحثين أن بروز خلدونية محدثة في عصرنا الحاضر، قد يؤدي وظيفة عملية لا يستهان بها بالنسبة لطائفة معينة من المجتمعات أو لجزء معين من عالمنا، لكن من حقنا ألا نسرف في أهمية الخلدونية خصوصا بعد التقدم السريع الذي أخذت عليه الأبحاث الاجتماعية في القرن ٢٠، سواء من حيث المنهجية أو من حيث الاكتشافات آو من حيث التكميم[٤].

إن أهل الحديث قد ركزوا جهودهم على النقد الخارجي واكتشف ابن خلدون أهمية النقد الباطني ذلك أنه قد اتضح لديه أن النقد الخارجي مهما كان مقيدا أو ضروريا فهو غير كاف بالنسبة لما يدخل من العلوم النقلية في نوع الخبر من الكلام حسب اصطلاح البلغاء، فإن كانت الشريعة جملة إنشاء فالتاريخ محض حيز فهو في حاجة إلى معيار خاص ومنهجية، فلقد استنبط المحدثون قوانين نقد السند التي يعتبرها ابن خلدون ناجحة في ميدانها أي بالنسبة للشريعة والإنشاء عامة، ووضعوا لها علم التجريح والتعديل، وألغوا تبعا لذلك في طبقات

---

(١) د.عبد المجيد مزيان، **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي**، عاصمة الثقافة العربية، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص٢١.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٢.

(٤) نفس المرجع، ص ٢٣.

الرجال واستنبط هو قانون المطابقة للنواميس الاجتماعية، فوضع لذلك بدوره علم العمران، استهدف فيه الكشف عن النواميس التي تسير وتتطور طبقا الأحداث والمجتمعات، هكذا ولدت على يد ابن خلدون العلوم الاقتصادية والاجتماعية وأفردت لأول مرة في تاريخ البشرية بالتأليف على حدة.[١]

لقد كان نبيها في اقتفاء أثر الظواهر الاجتماعية والتعرض لها بالبحث والتنقيب والتحليل ومدى أهمية كل منها في الحياة الاجتماعية وأثرها في الأفراد والجماعات وفي هذا يقول:

«يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والإعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال»[٢].

يقول في نص آخر:

«اعلم انه كما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم».

ولهذا ينبغي للباحث أن لا يقتصر على وصفها وبيان ما ينبغي أن تكون عليه.[٣]

وإنما يعمل على تحليلها تحليلا يؤدي إلى الكشف عن طبيعتها وعن الأسس التي تقوم عليها والقوانين التي تخضع لها، وهذا ما سار عليه ابن خلدون في بحثه وأبرزه إلى الوجود حينما اكتشف علم الاجتماع والعوامل التي تؤثر فيها، وإذا حللنا ظاهرة ما وأردنا الوقوف على عناصرها نجد أن بعض العناصر ترجع إلى ظواهر طبيعية والبعض الآخر يعود إلى ظواهر الاجتماعية مماثلة لها ومتفاعلة معها وتتمثل الظواهر الاجتماعية في عدة أمورن البيئة، الأخلاق، الدين، السحر، السياسة، الملكية، الخلافة، العرس، البيعة، القضاء، القوانين الوضعية، القوانين الشرعية، الاقتصاد، العملة، الحروب، الفلاحة، الصناعة، التربية، التعليم اللغة.التراث، العادات والتقاليد، المذاهب، الأحوال بصفة عامة.[٤]

---

(١) ا. د.محمد الطالبي، **منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر**. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، دار العربية للكتاب، ١٤ - ١٨ افريل ١٩٨٢، جامعة الدول العربية، ، ص٤١.

(٢) ادريس خضير، **التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٣١.

(٣) نفس المرجع، ص١٣٢.

(٤) نفس المرجع، ص١٣٣.

الانتقادات الموجهة إلى ابن خلدون

يعتقد **طه حسين** أن ابن خلدون لم يأت يعلم الاجتماع كما يرى الكثيرون وعلى رأسهم فرورو وجمبلو فيتر إنما أتى بفلسفة في الاجتماع ولم يرق لدرجة العلم، ويقول في تدليله على ذلك أن ابن خلدون يدرس المجتمع ليفسر التاريخ، وكان هدفه دراسة قوانين التطور الإنساني عموما، وأن المقدمة شديدة الشبه بكتاب مونتيسكيو (روح القوانين) ولا يمكننا الزعم بأن روح القوانين كتاب في علم الاجتماع، بل هو مثله مثل المقدمة مؤلف فلسفي وأن ابن خلدون كان هدف إلى دراسة الأحداث التاريخية بقصد استخراج القوانين العامة التي تتحكم في سير هذه الأحداث عبر الزمان.(١)

ويرى **د.عبد العزيز عزت** أن ابن خلدون ذهب إلى التاريخ ليرسم الحياة الإنسانية، ولم يتجه للواقع ليقرر طبائع المجتمعات البشرية، ونحن نخالف د.عبد العزيز عثرت على هذا الرأي رغم أن كتابه باللغة الفرنسية عن ابن خلدون وعلمه من أحسن ما كتب عن ابن خلدون.(٢)

وعند **التمعن في التحليل الاجتماعي لابن خلدون** وأدوات التحليل التي استخدمها في تحليل الظواهر الاجتماعية يمكن رصد مجموعة من عيوب التحليل في النقاط التالية:

- أن تحليل ابن خلدون الاجتماعي أجري في بيئة سماتها الرئيسية الانقسامات والحروب الداخلية وتراجع نفوذها على أقاليمها بمغنى هذا التحليل قائم في مرحلة الضعف وتراجع الحكم الإسلامي وتصاعد الاعتبارات العرفية والعصبية في السيطرة على الحكم.
- العصبية ليست أداة استقرار السلطة وإنما هي أحد أسباب النزاعات.
- تحليل ابن خلدون مركز على فكر النزاعات السياسية والصراع على السلطة في حين أن حالة الصراع ليست هي السمة الغالبة في التاريخ الإسلامي.

---

(١) د.زينب محمود الخضيري، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، مكتبة الانجلو المصرية**، القاهرة، ١٩٩٨، ص٦٦.

(٢) نفس المرجع، ص٧٨.

- جعل ابن خلدون الوازع الديني في المرتبة الثانية بعد العصبية وهذا غير صحيح في المجتمع الإسلامي.
- العصبية ظاهرة اجتماعية موجودة في المجتمع ومعطى سوسيو سياسي لكنها ليست أساس قيام السلطة السياسية وإنما هي أحد مدخلات النظام السياسي.[1]

خلاصة

مما سبق نستنتج أن ابن خلدون يعتبر من مؤسسين علم الاجتماع، ولو انه أعطى اسما أخر وهو علم العمران، ودرس الظواهر الاجتماعية من مختلف المجالات منها الحضر والريف والدولة والعصبية والاقتصاد، وكانت دراسته دراسة علمية وتحليلية لأنه اعتمد على قواعد البحث العلمي.

(١) د. مصباح عامر. مرجع سبق ذكره، ص ٤١ - ٤٢.

قائمة المراجع

- المنهج الاجتماعي: الموقع الالكتروني: http: //elearning.univ - guelma.dz/moodle/course/info.php?id=316تصفح يوم٢٠١٧/١٢/٢٩

- المنهج الاجتماعي، ملف، الموقع الالكتروني: /faculty.ksu.edu.sa/aalshibin/Documents المنهج٪٢٠الاجتماعي.doc

- المنهج الاجتماعي: الموقع الالكتروني: http: //elearning.univ - guelma.dz/moodle/course/info.php?id=316 تصفح يوم٢٠١٧/١٢/٢٩

- المنهج الاجتماعي، الموقع الالكتروني:

التصفح يوم: ٢٠١٧/١٢/٣٠ Site.iugaza.edu.ps/nafi/files/2010/02/e - 4pdf

- د.جواد ختام، **المنهج الاجتماعي: بداياته وتطوره وامتداداته.**، الموقع الالكتروني:

التصفح يوم 29/12/20017https: //www.marocagreg.com/forum/sujet - - 12069.html

- د. مصباح عامر، **علم الاجتماع الرواد والنظريات**، شركة دار الأمة، ط١، ٢٠٠٥، برج الكيفان، الجزائر.

- د. خالد حامد، **مدخل إلى علم الاجتماع**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠١٢، المحمدية

- إدريس خضير، **التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

- أ. د.محمد الطالبي، **منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر.** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، دار العربية للكتاب، ١٤ - ١٨ افريل ١٩٨٢، جامعة الدول العربية.

- د.عبد القادر تومي، من حكم الفلاسفة، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١.

- الاستاذ خليل شرف الدين، في سبيل موسوعة الفلسفية، **ابن خلدون**، دار ومكتبة الهلال، طبعة جديدة، ٢٠٠٧، بيروت.

- ازاد أحمد علي، بنسالم حميش واخرون، **الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ط٢، ٢٠٠٨.

- أزاد أحمد علي، بن سالم حميش وآخرون، **الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ٢٠٠٨.

- د.حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجيست كونت**، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨، مصر.

- د.زينب محمود الخضيري، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.

- د.سعيد دحماني، **تاريخ الجزائر في القرون الوسطى من كتاب «العبر» لعبد الرحمن ابن خلدون من ٣ أجزاء**، منشورات بوتة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، ٢٠١١، ط١.

- ابن عمار الصغير، **التفكير العلمي عند ابن خلدون**، وزارة الثقافة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٧.

- د.غريب محمد سيد أحمد، **تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية..

- أبو يعوب المرزوقي، **الاجتماع النظري الخلدوني والتاريخ العربي المعاصر**، الدار المتوسطية للنشر، ط١، ٢٠٠٧، تونس.

- د.عبد المجيد مزيان، **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي**، عاصمة الثقافة العربية.

- د.محمد الطالبي، **منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر**. المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم، ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، دار العربية للكتاب، ١٤ - ١٨ افريل ١٩٨٢، جامعة الدول العربية.

- ادريس خضير، **التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث**، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

- د.زينب محمود الخضيري، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، **مكتبة الانجلو المصرية**، القاهرة، ١٩٩٨.